كان لابد من القفز الى الماء مع رينو كوبيتا

نزار عبد الستار

يبدو ان الشعار العفوي القديم : اجعل روايتك تنبض بالحياة ، يبقى الشعار الاكثر اصالة في أي مغامرة ادبية.
فتاة الترومبون ، هي آخر ما وصلني من انطونيو سكارميتا ، الذي تعده ذاكرتي ، احد ابرز ثلاثة اشخاص استمعت الى اكاذيبهم ، التي يروونها بخبث ، عن تشيلي.

سكارميتا الذي ولد في مدينة انتوفاغستا التشيلية وعاش طويلا في اوربا وامريكا حيث عمل كاتب سيناريو، واستاذا، ومخرجا سينمائيا من القلة الذين يلمعون في اكثر من مكان في العالم وهو من مستغلي ازمات الاوطان، وميزة كهذه، هي ما نفتقدها بشدة، نحن الذين نعيش، باصرار، في العراق. الملفت في سكارميتا انه انضم متأخرا الى ما نعرف من دجالي امريكا اللاتينية الذين وجدوا في نضال بلدانهم صورة تسجيلية تدعو الى الشفقة، ولكنها، بقليل من الحس الفوضوي، يمكن ان تتحول الى رقصة ترومبا الحرية. بهذه الطريقة جرى التسامح مع اعداد كبيرة من مجانين البحار القريبة من الولايات المتحدة من الذين القوا بانفسهم الى البحر عندما لمحوا منهاتن. منهم من واصل الكتابة بعيدا عن العالم فغرق في النسيان، ومنهم من بالغ في تلفيق البطولات السياسية فقضم نيويورك: تفاحة امريكا الكبيرة.
رواية فتاة الترومبون قطعة ادبية ثالثة من ملحمة اجيال روائية تتبع فيها سكارميتا عائلة ماليسة نكبت بالاحلام وهي تكملة لرواية سابقة بعنوان عرس الشاعر تنتهي بافتراق الاخوين استيبان ورينو حين القى الاخير بنفسه الى البحر عندما لمح منهاتن وسبح نحو الشاطئ الامريكي بحلم ان مستقبل العالم يكمن في الديناصورات وان عليه ان يذهب الى امريكا كي يصنع فيلم عن غوريلا يتسلق ناطحات سحاب نيويورك ويرعب اهالي منهاتن والعالم بأسره. اما استيبان فيصل مهموما الى مدينة انتوفاغاستو يحمل جرح حب انتصر فيه المصرفي النمساوي الثري جيرونيمو فرانك عليه وفاز بقلب الجميلة آليا ايمار. وعن طريق رسالة يسلمها اليه الصحفي بافلوفيتش يعرف استيبان ان آليا ايمار قد اغتصبت من قبل قوات معادية وان جريميو فرانك قد انتحر.
فتاة الترومبون رواية اخرى عن الجموح الذي سبح عابرا البحر الادرياتيكي نحو انتوفاغاستو التشيلية مشخصا، هذه المرة، بمجدلينا التي جاء بها عازف ترومبون، اسمه باتشوكو ياكسيك، في شهر كانون الاول من عام ١٩٤٤، وهي طفلة في الثانية من عمرها، وسلمها الى المهاجر استيبان مؤكدا له انها حفيدته. هذه المجدلينا كتبت، بعد سنوات من ذلك، مخطوطة رواية وسلمتها الى روكي بافلوفيتش مدير جريدة الهيرالدو الذي وجدها تحتوي على حماسة سياسية وتمثل صورة عن جيل عاش مناصرا للرئيس المنتخب الدكتور الليندي.
الروايات السياسية في أمريكا اللاتينية يمكن ان تكتبها شابة، عديمة الجنسية، تحلم في الوصول الى نيويورك. وهذه الروايات في الغالب تحتوي على تفاهات ومذكرات طائشة وعفوية غير ناضجة فضلا عن أفكار جنسية بدائية. سكارميتا بفعلته هذه يعطي انموذجا حيا للادب الحياتي والحقيقة ان فكرة العفوية هي واحدة من أهم ابتكارات قارة أمريكا الجنوبية لأنها تعد الحل الأسلم لمشكلة أصالة الثقافة الوطنية، وهي اختراع لعب دور الهوية في كل إبداعات تلك القارة. ويبدو ان جدية السياسة لم تستطع تهذيب سخافة السلوك وهمجية الخيال كما ان هذه الطريقة في الكتابة لم تأت من تأثيرات النظريات السياسية والاقتصادية التي تفرض قياسات جديدة للبطل الحديث وإنما جاءت من عمق الحاجة.
حياتية الروايات عند شباب الولايات المتحدة تكون عبارة عن علامات تجارية وخرائط مرورية وضجيج مدني كئيب. اما في أوربا فالأمر يتمركز في التاريخ الحضاري وجسارة التقاليد واللعب في مجال التكنيك. لاتينيو الجنوب هم الأكثر ثرثرة وتعطشا للأحلام والحياة في العالم. تقول آليا ايمار كوبيتا في روايتها: حيث لا توجد حياة، سأتخيلها برغبة شديدة تحولها في لحظة ما إلى واقع. حتى لو سحقني هذا الواقع في ما بعد، وحولني إلى هلام وأعادني الى الطين والروث الأصلي. واذا ما أنكروا علي العالم، فسوف اخرج بنفسي في طلبه والبحث عنه.
المهاجر الماليسي استيبان كوبيتا، الذي لم يتزوج في حياته، ومات عشية عرض فيلم (كينغ كونغ) اقتنع بان فتاة الترومبون، التي غيرت اسمها بعد ذلك الى آليا ايمار كوبيتا، هي حفيدته، وقد نصحها قبل موته بان تذهب إلى نيويورك، لان كل البوصلات تشير الى الولايات المتحدة. وروى لها كيف ان شقيقه، رينو كوبيتا، القى بنفسه الى البحر، ما ان لمح منهاتن وذهب ليصنع دمية قرد عملاق يتسلق بناية الامباير ستيت بيلدينغ، وانه لم يلحق به، لذلك فهو يعيش مهجورا في العراء التشيلي. اما آليا ايمار كوبيتا، فقد آمنت انها من ابوين ماتا في مقاتلة النازيين، وعاشت تعشق السينما وتحلم بعالم جديد تستطيع فيه كسب الوجود الإنساني اللائق بتطلعاتها ومواهبها. ولكن القنصل الأمريكي، لم يعط الآنسة كوبيتا تأشيرة الدخول إلى الولايات المتحدة الأمريكية، لأنها لم تستطع اقناعه بأن احد اقرب الاشخاص الى جدها هو من صمم كينغ كونغ. كما انها لا تملك وثيقة في السجل المدني التشيلي يشير إلى وجودها والقنصل كان يملك معلومات استخبارية تصنفها بأنها شيوعية.
البعض من الذين يتوهمون امتلاك القدرة على صناعة معجزة روائية يقحمون انفسهم عنوة بين الكلمات فاذا ما كتبوا : بقرة فانها حتما ليست البقرة الحية التي نراها تتشمس على اكتاف الطرق الخارجية وانما بقرة تخطيطية، زرقاء اللون، عليها شعار شركة الالبان الحكومية. هناك قدرات لايمكن استسهالها لبث الروح في الكلمات فعندما تكون مضطرا لمحاكاة الحياة فلابد من ان تكون طاقتك الحياتية اقوى واعظم من اي مشهد حياتي مماثل. سكارميتا كان اقوى من الحياة نفسها لهذا كتب ماكتب والقى باوراقه في وجوهنا وذهب للبحث عن المزيد من الوجع الماليسي.
المهمة الاساس لسكارميتا في رواية فتاة الترومبون هي اكتشاف الهدف الحقيقي لوجود المهاجر عديم الجنسية. انها بطبيعة الحال مهمة صعبة في بلاد بلعومية تطحن كل شيء وتعيد طحنه باستمرار الى حد التلاشي حيث يمكن للمواطن العادي ان يصير مجرما دون ان يكون قد الحق الاذى بأحد. لكن الصدمة الاكثر قوة في هذه الرواية انها تعطي تصورا واضحا عن جيل سبعينيات القرن الماضي في تشيلي الذي تشكل مع الفشل المتكرر للدكتور الليندي في الوصول الى قصر الاميدا. ورغم ان هذا الجيل نشأ محبا للحلم الامريكي الا انه وجد في انفتاح البلاد فرصة لتشكيل هوية تشيلية متجانسة الثقافات.
لقد اعطى الدكتور الليندي، اشارة شديدة الوضوح، للجيل المعذب، حين استقل، وهو في طريقه الى القصر الرئاسي، في الرابع من ايلول ١٩٧٠ سيارة الانسة كوبيتا، الشفورليه دي لوكس العتيقة موديل ٥٦,هذه السيارة هي نفسها السيارة التي سخر منها القنصل الامريكي عندما انتقد اعجاب الانسة بالليندي ورفض منحها تأشيرة السفر الى الولايات المتحدة.
آليا ايمار كوبيتا وجدت نفسها في النهاية سعيدة جدا بمشهد ترجل اللندي من سيارتها في اول يوم له كرئيس فتقول قبل ان تتعالى صرخات النصر التي تحيي الرئيس: الحمد لله اننا بقينا في تشيلي.

اسم المؤلف : انطونيو سكارميتا
عنوان الكتاب : فتاة الترومبون
ترجمة : صالح علماني
الناشر : المدى
الطبعة الاولى : ٢٠٠٧

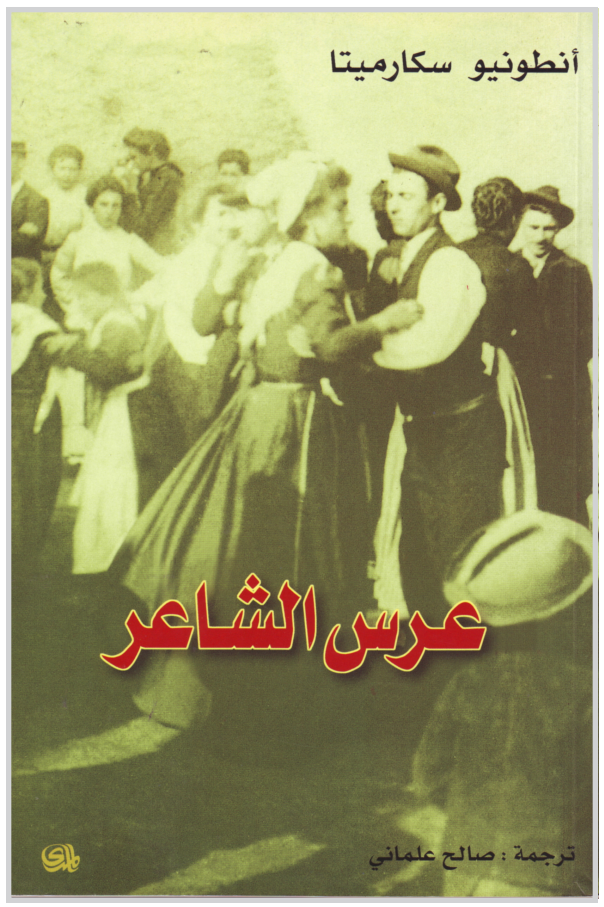

أنساق النهايات في النصوص الدرامية

د.حسين علي هارف

تمثل النهاية في النص الدرامي مسافة سيكولوجية تنتشر في فضاءاتها معالم وانساق فكرية وجمالية لها تجذرها في المشهد المعرفي.
ولان هناك عصوراً تاريخية على الصعيد الدرامي والمسرحي قد اعتمدت اشكالاً مختلفة في تصورها للمشهد النهائي تبعاً لمرجعيتها ووفقاً للنسق الجمالي والذوقي والفكري لعصر بذاته فان النهايات جاءت وفية لعصرها ومرجعها وانعكاساتها لسلطة الذائقة الجمالية والتمذهب المنهجي.
واذا ما توغلنا في بنية النهاية في الفن الدرامي فسنتلمس ارتباط شكل النهاية المعتمدة بطبيعة العمل الفني المسرحي وهدفه وبنيته الدرامية الداخلية وعناصره المكونة.
ربما ان نهاية النص الدرامي هي واحدة من منظومة بنائية واسلوبية واتصالية عامة للنص فان المتلقي ينساق الى البنية العميقة (استمكان الكل التعبيري) للنص وذلك ما افقد النهاية قيمتها وكساها بمظاهر التشكل اكثر منها محطة اقفال تحال الى الخارج السوسيولوجي.
ان النهاية كما يرى الباحثون مرحلة تحتم انفتاح وانغلاق الفعل الدرامي وتتوج تناميه الذي يكون قد وصل حينها نقطة الذروة لتكشف عن الانساق القيمية والفكرية والدرامية والجمالية التي يعتمد عليها ويتأسس على وفقها النص الدرامي.
ويرتبط شكل النهاية المعتمدة من قبل الكاتب بطبيعة العمل الفني وهدفه وبنيته الدرامية وهو لا يأتي اعتباطاً او عشوائياً فالنهاية القسرية المقحمة غير مقنعة وفجة والنهاية الطبيعية هي تلك التي تكون منطقية ومعقولة ومقنعة وتولد من رحم العمل الفني وسياقه ومساراته المنطقية التوالدية وفقاً لقانون السببية الذي يستوجب ان يكون كل هدف درامي نتيجة للحدث الذي يسبقه ويكون في الوقت ذاته سبباً للحدث الذي يليه والذي يفضي اليه.
وفي النهاية المفتوحة اشراك للمتلقي وتوريطه في وضع الحلول واتخاذ موقف ازاء ما يشاهد وهنا يعمد المؤلف الى تحميل المتلقي مسؤولية في رسم شكل النهاية ومصائر الشخصيات الدرامية وهذا يتطلب حتماً تبصراً عميقاً وواعياً للمتلقي في عملية الصراع الدرامي بين الشخوص في النص الدرامي.
ان النهاية المفتوحة هي من اكثر الاشكال ارتباطاً بالواقع اذا ما اعتمد العمل الفني الدرامي على القوانين التي تحكم الواقع الاجتماعي. والواقع سائل لا يمكن تصوره في أي شكل نهائي محدد وثابت.
والنهاية المفتوحة قد تعمد الى طرح المشكلة من دون حلها، واعطاء الرأي القاطع فيها بنهايات حاسمة لان الواجب هو طرح المشكلة وعرضها بشكل موضوعي ودرامي وابرازها فقط دون اتخاذ موقف فكري او اجتماعي محدد تجاهها، فالفن المسرحي كما يذهب الكثير من المسرحيين والنقاد لا ينتظر منه اعطاء الحلول الجاهزة والقاطعة للمشكلات المطروحة، وليس هذا ضمن واجباته ووظائفه الاساسية دون ان ينفي ذلك امكانية التلميح او الاشارة الى بعض وجهات النظر التي قد تشكل حلولاً مقترحة.
وتبقى النهاية المغلقة هي الشكل التقليدي السائد للنهايات التي اعتمدها كادر معظم كتاب الدراما للتعبير عن موقفهم ووجهة نظرهم الفكرية والدرامية والجمالية ازاء القضية المعالجة دراميا ومحاولة اصدار حكم فاصل بين الاطراف المتصارعة داخل العمل الفني الدرامي كما في المسرحيات التراجيدية التي يسير فيها الابطال نحو مصائرهم المحتومة.
ويعد بعض النقاد النهاية الدائرية من اضعف اشكال النهايات لانها لا تتشكل ضمن سياق المراحل البنائية للعمل الدرامي وتكثر هذه النهايات (الدائرية) في النصوص المونودرامية والملحمية.
اما النهايات المركبة فهي متعددة الاوجه والحلول بقصدية فكرية واضحة فهي تقترح النهاية ذات المستويات المتعددة في خطابها وطروحاتها بما يفضي الى قراءة او قراءات تاويلية متعددة الاوجه.
وتتعدد التصنيفات الفنية لانواع النهايات المسرحية من حيث طبيعتها الدرامية المرتبطة بالحدث الدرامي ونوعيته فهناك نهاية ماساوية (تراجيدية) واخرى سعيدة او ملهاوية، وهناك نهاية ميلودرامية (فجة ومسطحة) تفتقر الى المعقولية والعمق والمصداقية واخرى محيرة (متارجحة).
اما النهاية (البداية) فهي نهاية هادئة كهدوء الحدث الدرامي الذي يكون مجرد موضوع يدور حول نفسه مثل حلقة مفرغة ويتجدد حالما يشرف على بلوغ النهاية فتكون النهاية عندئذ بداية لحدث جديد أي العودة الى نقطة البداية.
اما من حيث حرية الكاتب في اختيار نهاياته ومعالجاته فهناك نوعان من النهايات الدرامية اولها النهاية المبتكرة (وهي نهاية من نسج خيال الكاتب وخلقه بشيء من الجدة والابتكار) والاخرى النهاية الملزمة (بفتح الزاي) وهي النهاية التي يكون الكاتب الدرامي ملزماً بها ولا تتيح له حرية التصرف وتتحدد هذه النهاية غالباً في المسرحيات التاريخية ولا سيما لتلك التي تتناول شخصيات واحداثاً تاريخية معروفة من قبل المتلقي.
تمثل النهاية حاجة مهمة للمتلقي الذي ينتظرها لتتضح الرؤية عنده في مصير الصراع الذي شهده بين الشخوص والذي ينتظر حسمه او يتوقع حسمه بطريقة ما.
وهذا الانتظار يمثل عنصر اثارة وتشويق لدى المتلقي الذي لن يرتوي (دراميا) من هذا النوع الذي يشهده الا باكتمال عنصر الحسم في النهاية الذي سيحقق له اشباعاً دراميا اذ لابد للحل او النهاية من ان تختلف احساساً بالاكتمال واشباع الرغبة التي اثارتها المسرحية في مشاهدها السابقة للاجابة عن كل الاسئلة ومعرفة كل الحقائق المتعلقة بالحدث.
ولابد من ان يشعر الجمهور بان النهاية جاءت نتيجة طبيعية لكل الاحداث السابقة فكل هذه الاحداث لابد من ان تصل بشكل منطقي الى هذه النهاية او الحل.

لماذا بقي أشهر روائي فيتنامي صامتاً؟

سوزان غولدنبيرغ
ترجمة: مصطفى ناصر

بعد خمسة عشر عاماً على صدور روايته التي أثارت اعجاباً منقطع النظير (أحزان الحرب) عن الحرب التي خاضتها بلاده مع امريكا، يفسر الروائي الفيتنامي باو نينه اسباب مخاوفه بشأن نشر رواية اخرى يعتبرها مكملة لها.
كانت روايته الاولى تلك قد تطرقت لقصة جندي اثناء فترة الحرب، وتجري احداثها في ميدان المعارك حيث تتناثر جثث القتلى المتعفنة، ويصف فيها الكاتب مشاعر شاب وروحه المعذبة حينما ذهب لكي يخدم وطنه، وعندما نشرت الرواية في ١٩٩١ جعلت من باو نينه اكثر كاتب في فيتنام يحظى بالاهتمام في الاوساط الادبية.
لم ينشر نينه أي شيء بعد ذلك مطلقاً- رغم انه من المعتقد ان يكون قد اكمل رواية اخرى عن الحرب، اسماها (سهوب روسيا) لكنه تردد في تسليمها للطبع.
"لقد توقفت باختياري الشخصي عن التفكير في نشر الرواية: بقيت ابعد نفسي شيئاً فشيئاً عنها" هكذا قال نينه لصحيفة الاوبزرفر في مقابلة نادرة تمت في منزله في ناحية من مركز مدينة هانوي التي يفضلها موظفو الطبقة المتوسطة "كنت اقارن ما اكتبه مع أي شيء كتبته في الماضي، لم يكن الاحساس عفوياً كما كان سابقاً".
هذا الصمت الطويل الذي اصر عليه واحد من اشهر الكتاب الفيتناميين يدل على رزوحه تحت وطأة حساسية مفرطة بشأن الموقف من الحرب مع امريكا. كانت واشنطن وهانوي في المرحلة اللاحقة للحرب قد التزمتا لتسوية العلاقات فيما بينهما ولقد كان الرئيس جورج بوش قد امضى عطلة نهاية الاسبوع في هانوي ذات مرة، وناقش في تلك المناسبة سبل التعاون المشتركة والتقارب وغيرها من المسائل الامنية مع القادة الشيوعيين الفيتناميين.
كانت تلك الحرب قد انتهت منذ ٣١ سنة، لكن في هانوي على الاقل ليس من السهل ولحد الآن التحدث عن رواية نينه عندما نشرت لأول مرة قبل خمسة عشر عاما، اعتبرت (احزان الحرب) شيئاً من قبيل الالهام. كانت فيتنام قد اختزنت نصيبها من الذكريات المؤلمة، إلا انه لم يتجرأ كاتب فيها ولفترة طويلة على تناول تلك المآسي والوحشية التي مورست في تلك الحرب والضرر المزمن الذي الحقته على جيل من الفيتناميين ويضعها في قالب روائي بشكل ابداعي مثلما فعل نينه.
ان شخصية نينه الرئيسية في الرواية كانت عبارة عن صورة باهتة تختفي وراء قناع ضبابي كثيف لهذا الروائي النحيف في ايام شبابه، حينما التحق في الجيش بعمر ٧١ سنة، تاركاً وراءه صديقته الشابة من ايام الطفولة. ترافقه فتاته الى محطة القطار الذي سينقله الى الجبهة، وعندما تسقط قنبلة طائشة قرب المكان يلقى بهما من السيارة، فيصاب بجروح بليغة ويغيب عن الوعي، وتتعرض الفتاة للاغتصاب من قبل مجموعة من الجنود الامريكان. بعد ذلك بعقد من الزمن تقريباً من انتهاء القتال يمضي ذلك الرجل ما بقي من ايامه بالإدمان على الكحول والتأمل الكئيب في ذكرياته الحزينة- كان قد اصبح انساناً مدمراً بصورة دائمة بسبب الحرب.
لقد اثارت الرواية موجة مثيرة للجدل مباشرة بعد صدورها، حيث احبها الجنود الذين قاتلوا في ايام الحرب، ومن ضمنهم حتى المحاربون القدماء من الامريكان بعد ان ترجمت الى الانكليزية، لكن استنكرتها طبقة من الفيتناميين، ومنهم اتحاد الكتاب في ذلك البلد. وبالرغم من ان الرواية كان قد اعيد طبعها باللغة الفيتنامية في السنة الماضية، إلا انها سوف تصدر ايضاً بعنوانها الاصلي. بدلاً من ذلك، كان الفيتناميون يعرفون روايتهم الاكثر شهرة عن الحرب بالعنوان الذي اطلقوه عليها بأنفسهم وهو (مصير الحب).
"كانت اول رواية جديرة بالقراءة عن الحرب "يقول ديونغ تيونغ، وهو شاعر ومترجم يعيش في هانوي. "ان الكتابة عن الحرب. كانت بالاساس مجرد كلام عن البطولات الملحمية وحب الوطن – الجانب الايجابي من الحرب. ان اغلب الروايات التي كتبت عن الحرب الفيتنامية كانت تمجد بطولة الجنود، ولم يتصد الكتاب ابداً للبحث عن المشاعر الموغلة في اعماق اولئك الذين شاركوا في جحيم القتال. لم يكونوا ينظرون الى الجانب الانساني لدى المقاتلين".
لقد منحت الترجمة الانكليزية للرواية نينه نوعاً من الامان الاقتصادي بعد سنوات من المعاناة من شظف العيش، لكن الاهتمام العالمي به كان قد سلط عليه ايضا انتباه الرقابة التي تمارس عادة من قبل السلطات. بعد وقت قصير من نشر الرواية تعرض للانتقاد بشدة وعلانية حينما نشر قصة قصيرة تدور حول قرية تقع في جنوب فيتنام.
يقول نينه ان ردود الافعال القاسية مثل هذه يبدو انها تعود الى الحقبة الماضية "حينما كتبت الكتاب، كانت المشاعر عن الحرب الفيتنامية مختلفة تماماً، والعلاقات بين امريكا وفيتنام كانت مختلفة ايضاً، والحرب الباردة ما زالت مستمرة. لقد خرج الكتاب الى الوجود بعد تلك الفترة الطويلة الى حد ما من انتهاء الحرب، لكن الناس كانوا لا يزالون متخندقين ضمن حدود وسائل الدعاية التي تعود لذلك الزمن، كما لو ان الحرب لم تكن قد انتهت بالنسبة اليهم، ولم يكونوا يقفون على خط واحد مع ما كانت تقوله الحكومة".
ومع ذلك فقد كان اقل وضوحاً بشأن قراره الأمتناع عن نشر روايته اللاحقة، مدعياً بأنه كان يكتب بصورة تكاد تكون مستمرة منذ ١٩٩١ كمحرر في مجلة ادبية اسبوعية تصدر في هانوي. ان كتابة الرواية تمثل عملاً بطيئاً كما يقول، وعمله الجديد يمثل كفاحاً مريراً بالنسبة اليه "لقد اصبحت مشهورا اكثر مما اتوقع، فالناس صاروا يعرفون عني الشيء الكثير والكتاب الاخرون يكنون لي الاحترام، لكن كان لذلك اثر سيئ علي لأني اصبحت اكثر وعياً لذاتي من قبل".
يقول بانه حالياً يساند الى حد كبير اتجاه فيتنام لتسوية علاقاتها مع اعدائها السابقين –رغم انه ليس متحمساً كثيراً لمسألة زيارة بوش الى فيتنام وهو يعتقد ايضاً ان برنامج فيتنام في مجال التحرر الاقتصادي سوف يقود بالتدريج الى حرية اكبر. في يوم من الايام في المستقبل ربما ستكون السلطات اكثر استعداداً للتسامح بشأن رواية جادة عن الحرب.
والى أن يحين ذلك الوقت، يبدو ان نينه سوف يبقى محتفظاً بافكاره لنفسه "انني اعرف الكثير من القصص الحقيقية عن فيتنام المعاصرة، لكنني لا اكتبها الآن، كل كاتب لديه موضوعه الذي يفضل الكتابة عنه في اللحظة المناسبة".